سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ



الرقية بالقرآن





لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر



الشيخ لم يراجع التفريغ







alshuwayer9







00966558883286

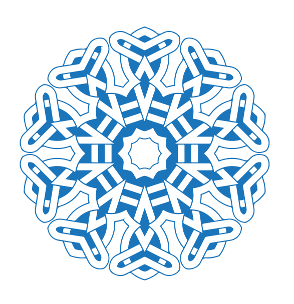
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ



الرقية بالقرآن



لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مُبارَكًا فيه كما يُحبُّ ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبد الله ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فإني سأجعل مُبْتدأ حديثي قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء:٨٢].

سيكون حديثي بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ دائرًا حول هذه الآية، وما دلَّتْ عليه من معانٍ، إذْ موضوعنا لا يَكاد يخرج عن بعض دلائل هذه الآية العظيمة.

فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾، **قال أهل العلم**: إن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾ إنَّ «مِن» هذه ابْتدائية، **أي**: بابتداء القرآن، **وقِيل**: إنها (تبْعيضية) **أي**: أنه يتحقَّق الشفاء ببعض القرآن، ولا يلْزم أن يتحقَّق بجميعه، ولِذا ذكر ابن مسعود وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «أن من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ آيات حِرْز، وآيات تعْويذ» كما سأذكره بعد ذلك.

وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ هذا الشفاء **قال أهل العلم**: إنه يَحتمل معْنيَين، وكلا المعْنيَين صحيح، فإنه قد تقرَّر عند أهل العلم أن اللفظ المُشْترَك يجوز أن يُرادَ به في النصِّ جميع معْنيَيه المشترَكَين، كما **قال أبو الدرْداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يكون المرْءُ فقيهًا حتى يعلم للآية أكثر من وجه».

۞ **فالمعنى الأول لكون القرآن شــفاء أي:** هو شــفاء من الشَّــكِّ، والكُفْر، والرَّيب، وهذا هو المعنى الأساس، والأصل في هذه الآية.

۞ **والمعنى الثاني في كونه شفاء أي:** أنه شفاء للأمراض، وهذا ما سأُطيل الحديث فيه بعض الشيء في هذا اللِّقاء في هذه الدقائق التي يسمح بها الوقت.

وعندما نقول: (إن القرآن شــفاء) كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، فقد ذكر أهل العلم أن الشفاء قد يكون رفْعًا، وقد يكون دفْعًا.

۞ **ومعنى كونه رَفْعًا أي:** بعد وجود المرض.

۞ **ومعنى كونه دَفْعًا أي:** يَمنع وجوده، فإن من القرآن ما يمنع نُزولَ المرض والضَّرر بالعبد، ولذا **قال ابن مســعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ المُعَوِّذَتَين» **يعني:** ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾، و ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾، **قال:** «إنَّ المُعَوِّذَتَين نزلتَا للتعْويذ، ليكفّ الله عَزَّوَجَلَّ بهما شــرَّ الأَذى من سائر الأَذى الذي قد يطرأ على بني آدم.

إذن فقول الله عَزَّوَجَلَّ: إن القرآن شــفاء يدلنا على أنه شــفاء لِمَا وقع، وشــفاء يمنع ما سيقع.

و قد جاء في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الرعد:١١]، جاء عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه يُكتَب في اللوح الذي في الســماء الدنيا: إن فلانًا ســيصــيبُه من المرض كذا وكذا، فإذا فعل كذا وكذا كُفَّ عنه المرض، وزِيدَ في عُمره، **قال:** وأمَّا الكتاب الذي عند الله عَزَّوَجَلَّ فإنه لا يتغير ولا يتبدَّل، وهذا هو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَــاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد:٣٩]، فيَمحوا الله ما يشــاء، ويُثْبِتُ في

الكتاب الذي في السماء الدنيا، وأمَّا الكتاب الذي عنده وعِلْمه جَلَّ وَعَلَا فإنه لا يتغير ولا يتبدَّل.

إذن: هذا القرآن قد يمنع ضررًا قد كُتِبَ على ابن آدم، كتب الله عَزَّوَجَلَّ أنه إن قرأ كذا، أو اسْتمع لكذا فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيدفع عنه ذلك الضر، ويَمنع عنه ذلك الشر، إذا عرفْت ذلك وهو أن القرآن شفاء للشَّكِّ وشفاء للمرض، وأن الأمراض شفاء القرآن لها إمَّا أن يكون على سبيل الرفْع، وإما أن يكون على سبيل الدفْع، فالرَّفع بعد وقوعه، والدَّفْع قبل وقوعه، فإن هذه الأمراض التي يَشفي الله عَزَّوَجَلَّ منها ليست مرضًا واحدًا، ولذلك فإن هذه الآية جاء فيها: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، **وقد قرَّر أهل اللغة وأهل الأصول: أنَّ النَّكِرَة المفردة إذا جاء في سياق إثبات فإنه يعمُّ عموم أحوال**، وهو المُسمَّى بـ: (المطلق)، فدل على أنه يُشْفي الأمراض كلها، ولذا فإن الأمراض التي يشفي منها القرآن ليسَتْ خاصة بالعَين، ولا بسائر الأمراض التي تُسمَّى بـ: (الروحية)، وإنما هو أَعَمُّ من ذلك، **فيشمل جميع الأمراض الثلاثة:**

۞ **يشمل أولًا: الشفاء من الأمراض العُضْوية**. ولذلك فإن الرجل لمَّا لُدِغَ في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَقَاهُ أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كأَبي سعيد وغيره، فشفاه الله عَزَّوَجَلَّ من أثر تلك اللَّدْغَة، وهذا يدلنا على أن الأمراض العُضوية يشفي الله عَزَّوَجَلَّ بها بالقرآن.

۞ **كذلك يشفي الله** عَزَّوَجَلَّ بها من الأمراض المُسَمَّى بـ: (الرُّوحية)، وهي: (العين، والمَسّ، والسِّحر)، وهذه الأمور الثلاث ثابتة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسُنَّة النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وحين ذلك **فنقول**: أَمَا وقد ورَدَتْ وقد ورَد شفاؤُها، ومن الشفاء منها ما يُتْلَى على المرْء، أو يقرأه بنفسه من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

الأمر الثالث: الذي يشْفي اللهُ عَزَّوَجَلَّ به، وقد أبسط فيه بعض البَسْط، وهو: أن الله عَزَّوَجَلَّ كما يشْفي بالقرآن من الأمراض العُضْوية والرُّوحية، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يشْفي به من الأَدْواء النفسية، سواء كانت مرضًا، أو كانت اضْطرابًا.

ووجه شفائه للأمراض النفسية أَوْجُهٌ متعدِّدة؛ ومن ذلك:

- أن القرآن يَزيد إيمانَ المرء بربِّه جَلَّ وَعَلَا، وكلما تقوَّى إيمان العبد بربه، وتعلَّق به كلما قَوِيَ إيمانه بالقضاء والقدر، فهانَت عليه مصيبته، وقَوِيَت نفسه، ففي هذه الحال تقوى نفسه، فيكون سببًا في قوة بدنه، ولذلك ذكر الله عَزَّوَجَلَّ: أنَّ القرآن يُلِينُ القلوب، ثمَّ بعد إِلَانته القلوبَ فإنه يجعل ذلك القلب خاشعًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما أَلَانَ القلب شيء، ولا جعل القلب مُخْبِتًا لله عَزَّوَجَلَّ أعظم من هذا الكتاب العظيم الذي ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت:٤٢].

المقصود: أن من نفْعه في الأمراض النفسية نفْعه من جهة أنه يقوِّي الإيمان، ومن الإيمان بالله: الإيمان بقضائه وقدره، فـ «**يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**»، وأن هذا مكْتوب في اللَّوح المحفوظ قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسِين ألف سَنة، فلا يدخل عليه الشيطان بـ: (لو)، ولا يأتيه الشيطان فيُنَدِّمُه لفعل أمر، أو لترْك شيء آخر، ولا يجعله يُقارِنُ نفسه بغيره، وإنما يعلم أن هذا من قضاء الله وقدره.

ثمَّ أَعجب من ذلك! فإن الإيمان بالكتاب يجعل المرْء يفرح بالبلاء.

وقد جاء عن بعض التابعين، أنه كان يقول: «كانوا» **يعني**: أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو **يعني**: الصالحين من الأنبياء ومَن كانوا قبل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «كانوا يفْرحون بالبلاء أشدّ من فرحهم بالعَطاء»، وهذا واضح في سِيرِ الأوائل، فإن كثيرًا من الأوائل كان إذا طال به الأَمَدُ، ولم يَنزلْ به بلاء تضايق، وازْداد حَنقه؛ لأنهم عَلِمُوا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر: «**أَنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ، تَأْتِيهَا الرِّيحُ فَتُمِيلُهَا يَمِينًا وَيَسَارًا، ثُمَّ إِذَا سَكَنَتِ الرِّيحُ قَامَتْ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ، لَا تَضُرُّهَا رِيحٌ، حَتَّى إِذَا أَتَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ أَسْقَطَتْهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعِ الْقِيَامَ بَعْدَ ذَلِكَ**».

وممَّا يُذكر في ذلك ويُسْتطْرَف: أن أحد فقهاء المسلمين - وهو سُحْنون، تلْميذ تلاميذ الإمام مالك - أنه كان مرَّة جالسًا مع أصحابه في درْسه، لكنه كان متنكِّدًا مُنقَبِض النفس، حتى إذا جاءه خادِمُه فأسرَّ في أُذنه أمرًا، فانطلقت أَسَاريرُه، وانشرح صدرُه، فجاء بعض تلامذته له، وسأله عجبًا من حاله، فإنه لم يَسْتَر حتى سمع ذلك الحديث من خادِمه، **فقال سُحْنون**: «نظرتُ في نفسي فوجدت أنّي لم أُصَبْ ببلاء في بدني، ولا في مالي، ولا في ولدي، وإن لي جاهًا عظيمًا في البلد، فخَشِيتُ أن يكون ذلك **أحد أمرين**: إمَّا علامة نفاق، أو أن الله عَزَّوَجَلَّ سيأْتيني بِبَلَاء يُذهبُني مرَّة واحدة، حتى إذا جاء ذلك الخادم، فأَسَرَّ لي في أُذني: أنَّ حديقة» **يعني**: مزْرَعة، «أنَّ حديقةً لي في المكان الفلاني أصابَها حريقٌ، فَفَرَحْتُ بما أصابني من بلاء لِمَا أعْلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قد دفَع عنِّي أكثر».

ولذلك من الأمثلة الدارجة بيننا: أنه إذا أُصيب امرؤٌ بمُصيبَة قال: (ما دفع الله كان أعظم)، وهذا حق، فإن المرء يدفع الله عَزَّوَجَلَّ عنه البلاء الأَعْظم بالبلاء الأَشَد، وهذه مرحلة

للمتقين، وهي الرضا ببلاء الله عَزَّوَجَلَّ، والرضا بالمَرض؛ لِيعلم أنَّ ما أصابه أخَفّ وأَقَلّ ممَّا أصاب غيره، وأنَّ هذا من رحمة الله إِذْ أُصيب بالأَقَلِّ ليُدفع عنه الأَعْظَم.

إلى غير ذلك من الأمور التي ربما يكون الحديث لغيري عنها فيما يتعلق بعِلاج الأمور النفسية بالقرآن.

ولكن بقي من الوقت شيء قليل، أَخْتصره في الجزء الثاني من هذه الآية، وهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

عرفْنا كيف أن الشفاء أنواع وليس نوعًا واحدًا، **ولكن هنا مسألة مهمَّة، وهي: كيف يكون القرآن سببًا للشفاء، هل يكون القرآن كما ظنَّ بعض الناس بوضْعه مصحفًا فوق الجسد، أو يكون بفتح ورقاته والنظر إليها، أو غير ذلك من الأمور؟**

قال أهل العلم: إنَّ الشفاء بالقرآن بثلاثة أمور:

الأمر الأول: بتِلاوتِه.

الأمر الثاني: اسْتماعه.

الأمر الثالث: الرقية به.

سأذكر هذه الأمور الثلاثة على سبيل الإجمال، ثمَّ ربما أبسط الثالثة لأنه ربما كان الحديث عنها مخصوصًا في هذا اللقاء.

❁ **أمَّا الأمر الأول: وهو القراءة**، فإن أعظم ما ينتفع به المرء بالقرآن قراءتُه؛ لأنه يشترك فيه لسانه، ولا يكون المرء قارئًا للقرآن إلَّا بحرف وصوت، بإجماع أهل العلم،

حكَاه أبو الخطاب، والنَّووي، وغيرهم، فإن مجرد النظر إلى أوراق المصحف، وقراءة الآي بالذهْن لا يَصْدُقُ عليه أنه قراءة، إذْ لا قراءة إلا بحرف وصوت.

ولأهل العلم مسْلكان في الحدِّ الأدنى لِمَا تكون به القراءة والكلام، **فقِيل**:

- إن أقلَّه تحريك اللسان والشفتين في الآدميِّين، فلا حرف ولا صوت ولا كلام من الآدميِّين إلا بتحريم لسان وشفتين.

- **وقِيل** - وهو الأَحْوط -: أنه لابد أن يَزيد على ذلك بأن يُسْمِعَ نفسه.

إذن: لا قراءة قِيل إلا بأن يُسْمِعَ نفسه، وقِيل: إلا أن يُحرِّكَ لسانه وشفتَيه، وأما مجرد النظر في الآي فلا يُسمى قراءةً، ولذلك فإن الأَصَمَّ لا يكون قارئًا للقرآن وإن كان يستطيع النظر، وفهْم المعاني، وإن كان هذا له أجر سأذكره بعد قليل فيما يتعلق بالتفكر في المعاني.

إذن: هذه المسألة الأُولى في كيفية القراءة، وأنه لا بدَّ فيها من أحد أمرين على خلاف في حد ذلك.

❁ **الأمر الثاني:** أن هذه القراءة كما يشترك فيها اللسان بالنطق، فإنه يَتِمُّ فيها الأجر كاملًا، ويتحقَّق بها النفع تامًا، إذا اشْترك القلبُ مع اللسان، ولذلك فإن الذكر للقرآن ولسائر الأَذكار نوعان، وإن شِئْتَ **قلْ هو ثلاثة أنواع:**

❁ **النوع الأول:** مَن يذكره بلسانه فقط **أي:** بدون قلبه.

❁ **النوع الثاني** - وهو الأَتَمُّ والأَكمل -: مَن يذكر القرآن ويقرأه، ويذكر الأذكار بلسانه وقلْبه معًا، فإذا قرأ آي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ تأمَّل فيها، ولو لَم يتأمَّل إلا بأسماء الله وصفاته لكفى، ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ**

أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، قِيل معنى (إحْصائها): أن يعرفها، وأن يقرأها، وهي كلها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يتفكَّر في معانيها، وأن يدعو الله بها.

ولذلك لـمَّا دعا الله عَزَّوَجَلَّ زكريا، دعا الله عَزَّوَجَلَّ باسم يناسب طلَبه، ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ لما أراد أن يدعو بالوَلَد.

فمن أراد أن يدعو بالشفاء فيدعو الله عَزَّوَجَلَّ بالأسماء التي تناسب ذلك، مَن أراد أن يدعو الله بالتخْفيف عنه ممَّا هو فيه من ضيق وشدَّة فيدعو الله عَزَّوَجَلَّ بالأسماء التي تناسب ذلك ممَّا هي في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

مَن قرأ القرآن، ثمَّ تأمَّل الآيات التي فيه في عظَمة الجبَّار جَلَّوَعَلَا، وقُدرته سبحانه، وأنه قادر على كل شيء حينئذٍ يَهُونُ عليه مرضه، وما أُصيب به من بلاء، من قرأ القرآن ونظر ما فيه من العزَّة، وما فيه من القوة، ما يكون فيه من ضَعْف في حالات، وما يكون فيه من وَهَنٍ في أوقات فإنه بقراءته لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ تقوى نفسه، وتعتزُّ، وتكون أقوى حظًّا من حالها قبل ذلك.

إذن: أكْمَل مَن ينتفع بالقرآن شفاء وأجرًا وانتفاعًا وفقهًا هو الذي يقرأه بلسانه وبقلْبه معًا، أمَّا لسانه فعرفْناه بأن يُحرِّك لسانه وشفتيَه، **قِيل**: وأن يُسْمِع نفسه، **وأما بقلْبه**: فأن يتفكَّر في معانيه، وأن ينظر في دلائله، فما نظر أحد في كتاب الله إلا زاده الله إيمانًا، وقوةً، ويَقينًا.

ويَشْهد لذلك: ما جاء أن عَديَّ بن حاتم الطائي أتى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**يَا عَدِيّ! أَتَعْلَمُ مَا مَعْنَى: اللهُ أَكْبَرْ؟**» فقال عَدي: الله ورسوله أعْلم، قال: «**مَعْنَاهَا: أَنَّ اللهَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**».

فدلَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَديًّا لفضل القراءة والتفكُّر بالقلْب.

فكَم من امرئ يُكبر، لكن إن تأمَّل أن الله عَزَّوَجَلَّ من كل شـيء، أكبر من الظالم، وأكبر من المرض، والله عَزَّوَجَلَّ أكبر من كل شـيء، كل أسـباب الدنيا الله عَزَّوَجَلَّ أكبر منها، وأقْدر، وأَجَل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فحينئذٍ يقوى إيمانه ويَنتفع.

۞ **إذن الأمر الأول**: يكون بالقراءة، ولِذا فإن مجرد قراءة العبد للقرآن سببٌ لشفائه.

۞ **الأمر الثاني، وهو: الاسْـتماع**، ولذلك فإنه يقول أهل اللغة وأهلُ الفقْه: «إن زيادة المَبنى زيادة للمعنى»، فَفَرْقٌ بين السماع والاسْتماع، **فالسَّماع**: مجرد طرْق الصوت للأُذُن، **وأما الاسْـتماع**: فهو إِرْخَاء السَّـمع له، وكل مَن اسْـتمع للقرآن أُجِرَ عليه، لكنه دون أجر التالي، لكنه يشترك مع التَّالي في التفكر بالقلب، فمَن أَرْخَى سمعه للقرآن، وتفكر في معانيه ودلائله فإنه سينتفع به ولو كان القارئ له غير قاصد رقيته، بلْ ولو كان قراءة القرآن مسجَّلة، ولكنه يُرْخِي لها سمعَه.

۞ **وهنا مسألة مهمَّة جدًا**؛ فإن هناك فَرْقًا – كما ذكرتُ لك – بين الاسْتماع والسَّماع، ولذلك طبعًا من نفْع الاسْـتماع قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ [الأنفال:٢]، فمجرد التلاوة وإِرْخَاء السـمع لها يَزيد الإيمان، ويقوّي النفس، ويشـفيها كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه.

۞ **أُريد أن أُبيِّنَ مسـألة**: أن الانتفاع إنما هو بالاسْتماع، وأما السـماع فلا أجر فيه ولا نفْع.

والسَّماع هو: أن يَطرُقَ السمعُ أو الصوتُ الأُذُن.

ولذلك فإن بعضًا من العلماء في بعض البلدان قبل قَرْنٍ ونحوه لـمَّا جاءت هذه الإذاعات والمسجلات وغيرها أفتى بعض الحنفية بأنه لا يجوز وضْعه في الأسواق؛ لأن الناس مشغولين بالصَّخَب، مشغولين بالبيع والشراء، ولأجل ذلك فإنهم لا يُرْخُون سمعهم للقرآن، **قالوا**: «ولأنه لا يُنتفع بالقرآن ولا يُؤجر إلا مَن اسْتمع إليه».

فمجرد جعْل الآي تُتْلَى سماعًا ليستْ بنافعة في الأجر، وليستْ بنافعة أيضًا في التلاوة، بل لا بدَّ من التفكر في المعاني، إلا أن يكون من باب الرقية التي سأذكره بعد قليل في النوع الثالث.

ولذلك فإن مجرَّد استماع المرء للتالي في صلاة أو خارج صلاة فإن الله عَزَّوَجَلَّ يَزيد بها الإيمان، ويقوي بها النفس، وينفع بها بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **الأمر الثالث** - وهو الذي سأبسطُ فيه في الدقائق الخمس الأخير التي سأخْتم بها حديثي -: وهي قضية أن الله عَزَّوَجَلَّ يجعل الشفاء بالقرآن بالرقية، **ومعنى كونها رقية أي:** معوّذَة قبل الوقوع، كما جاء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ يُعَوِّذُ أَبْنَاءَهُ**»، وجاء عن ابن عمرَ «**أنه يُعَوِّذُ أبناءَه**»، أو يكون تلاوتها بعد وقوع البلاء بسائر أنواع المرض، وفي كلها خيرٌ ونفْع.

وهذا التَّالي إذا قرأ على غيره انتفع غيرُه به وإن لم يكن مسْتمعًا، بلْ وإن لم يكن مؤمنًا.

فقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنهم أتوا قومًا فاسْتطعموهم، فأَبَوا أن يُطعمُوهم، وكانوا قومًا كفَّارًا، فَلُدِغَ سيدُهم، فقالوا: هلْ فيكم من راقٍ؟ قال أبو سعيد:

فرَقيتُه بالفاتحة، فشُــفِيَ»، فدل ذلك على أن الرقية نافعة إذا كان الراقي الذي يقرأ وإن لم يكن ذاك مسْتمعًا، فإن الصبي ليس بمسْتمع لأنه صغير، لا يسْتطيع الاسْتماع بلْ ولا نية له، بلْ ولو كان غير مسلم.

❋ **وهذه الرقية جاء صفتها في طرائق متعدِّدَة:**

- فجاء مرَّة الرقية بالقراءة **أي**: الصوت فقط.

- وجاء مرَّة الرقية بالنَّفْث **أي**: بصوت معَ نفْثٍ.

- وجاء كذلك الرقية في ماءٍ، ويُشــربُ ذلك الماء، أو يُغتســل به، وجاء ذلك عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكل هذه الأمور وَرَدَ بها النقل والأثر عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو عن أصحابه.

وبناء على ذلك فلو لم يَردْ بها النقل لقلْنا: إنها غير مشــروعة؛ لأنها عبادة، وهذا ينقلُنا إلى الموضوع الأخير الذي سأخْتم به حديثي - مع أنه يسْتحق الحديث وحدَه - وهو قضية ما يَحدُث من كثير من الناس من أخطاء عند فعْلهم القراءة على الغير والرقية له، فإنه ليس كل مُريد للخير يُصِيبُه، ولا كل رَاغبٍ بنفْع الناس يكون مُصيبًا الهدى.

ولذلك ثبت عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**»، **قال عبد الله بن الإمام أحمد**: «فقُلْتُ لأَبي: الغُلوُّ في ماذا؟ قال: الغُلو في كل شيء».

فكما أن الغُلوَّ قد يكون في العبادات، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذكر الغُلو في رمي الجمار، فإن الغُلو كذلك قد يكون في هذه الرقية التي يظنُّ بعض الناس أنه ينتفع بها آخرون، فيكون

صاحبها غير مُصيب، بلْ هو مُخطئ، ولذلك قرَّر أهل العلم - وانتبهْ لهذه القاعدة المهمَّة -: **أن الأمر المحرم لا يترتَّب عليه أثره**، هذه القاعدة مُسَلَّمَة عند أهل العلم، كل أَمر محرم فإنه لا يترتَّب عليه أثره مطلقًا، فمن دعا الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء فيه إِثْمٌ أو قَطيعة رَحِم لم يُستجبْ، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَن دعا الله عَزَّوَجَلَّ، أو فعل عبادة في موضع غير مشروع فإنه لا يُستجاب، وهكذا سائر الأحكام، وهذه قاعدة تطبيقاتها بأُلُوفِ المسائل.

إذا كان ذلك كذلك فلْيعلم المرء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، فالذي يقوم بهذه العبادة أو هذا الفعل - وهو الرقية - وكان على غير طريقة هُدًى، وعلى غير طريقٍ صواب فإنه يكون فعْلُه مَردودًا **أي**: محرَّم، وبناء عليه فلا يترتَّب عليه أثره.

فإن قُلْتَ: فإننا نجد بعضًا من الذين عندهم انحراف في الرقية قد يترتب على رقيتهم أثر؟

نقول: لا دِلالة في ذلك.

فقد بينَ أهل العلم أنه ربما وقع في نفس المريض من الاضْطرار إلى الله عَزَّوَجَلَّ ما يجعل دعاءَه مسْتجابًا ولو لَم يفعلْ هذا الفعل الممنوع، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ [النمل:٦٢]، فبين الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ كل مُضْطَرٍّ ولو كان كافرًا إذا وقع في قلْبه من الاضْطرار فإن الله يسْتجيب دعاءَه، بلْ ولو دعا عند قبر، ولذلك فإن مَن دعا عند قبر فأُجيبُ دعاؤُه **لا نقول**: إن إجابة الدعاء لكونه في الموضع الفلاني، **وإنما نقول**: إنما إجابة الدعاء لِمَا وقع في القلب من الاضْطرار؛ ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾.

قال أهل العلم من الصحابة ومَن بعدهم: «يُجيب الله كل مُضْطر ولو كان كافرًا».

إذن: فقَضية التجارب، وأن هذا نفَع، وأن هذا صلَح، وأن هذا أُجيب دعاؤه، وأن ذلك قد نفَعَت رقيتُه ليستْ دليلًا على صواب هذه الطريقة، وإنما الصواب في التمسّك بالنقل.

❋ ما هو الغُلو على سبيل الإيجاز؟

سأذكر نوعَين فقط من الغُلو، وإلا هي تتجاوز العشرة لضِيق الوقت، سأذكر أمرين مُهمَّين، وأظن أن مَن سَلِمَ من هذين الأمرين فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيعْصمه من أغلب الأخطاء التي يقع فيها كثير من الرُّقاة.

أول هذَين الخطأين التي فيها غُلو، وهو: الغُلو في الرقية باعْتبار التشْخيص، وقد أنكر الأئمَّة ذلك.

فقد جاء عن إمام الأئمَّة مالك بن أنس، الأصْبحي، المدني، الذي نُزِّلَ عليه قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الترمذي وغيره: «**يَكَادُ النَّاسُ أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبَادَ الْإِبِلِ فَلَا يَجِدُوا إِلَّا عَالِمَ الْمَدْيَنَةْ**».

جاء عن الإمام مالك: أن رجلًا جاءَه فقال: إن فلانًا يرْقي الناس، فإذا رقى الناس قال: يا فلان، فيك عين، ويا فلان فيك سحْر، ويا فلان فيك مَسٌّ، فغضب الإمام مالك أشدَّ الغضب، **وقال:** «بدعة، بدعة، بدعة»، أين هذا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أين هذا؟ لا يُوجد في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ علامة واحدة على أحد هذه الأمور الثلاث، وإنما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْعَيْنُ حَقٌّ**»، وبين الله عَزَّوَجَلَّ أن السِّحر حقٌّ: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ**

فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة:١٠٢]، وكذلك غيرها من الأمراض الرَّوحَانية.

ولذلك فإن من أخطر الأمور: أن الْمرء يتوسَّع في التشْخيص، وأول التشْخيص أن يُشَخِّصَ المرض كما لو كان طبيبًا، أو كان فنيًا، حتى إنِّي لا أقول لكم سمعتُ، وإنما قال لي هذا الشخص بعَينه، أنه ذهب لرَاقٍ، ثم إنَّ الراقي قال له: إن فيك تسْعة وتسعين جنيًا تلبَّس بك، أو يقول: إن فلانًا مسحور، وساحره فلان، أو يقول: إن نوع السحر كذا، ويأتي بألْفاظ المشعْوذين والسَّحرة، وكل هذا لا يجوز، حرام، هذا من أخْطر الخطير.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طُبَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولم يقلْ إنه قد طُبَّ إلا لما جاءه الوحي، ولذلك يجعل هذا الراقي النَّاسَ في وَهَمٍ، ويجعل الناس يتوهَّمون أمورًا لا حقائق لها، لا باعتبار نوع ما أُصيبوا له، ولا باعتبار مَن أصابهم، ولذلك قد يكون ذلك الرجل سببًا في التفريق، فيُفرِّقُون به بَين المرء وزوجه، كم مِن بيت - وكلنا يعرف بلا اسْتثناء - كم من بيت حدَثت بينهم قطيعة، وكم من رجل طلَّق زوجَه، وكم من رجل حدَثت له مشاكل كثيرة بسبب إِيهام ذلك الراقي له أنه مُصاب بأحد هذه الأدْواء، ثمَّ يأتيه الوَهَم من ذلك الراقي أو من غيره أن الذي كان متسبِّبًا به فلان أو علَّان، وهذا لا يجوز، كل هذا لا يجوز، وحرام، وهذا من أخطر الخطير.

إذن: هذا الأمر الأول، وهو الخطير على سبيل الإيجاز.

الأمر الثاني في التشْخيص: أن بعض الناس إذا شخَّص هذا المرض يرتب عليه أمرًا آخر، وهو صفة العلاج، **فيقول**: إن الأمر الفلاني يُقرأُ عليه كذا سبعًا، والشيء الفلاني تُقرأُ

عليه الآيات الفلانية دون ما عداها، والأمر الثالث يُقرأ في اليوم كذا وفي الليلة كذا، وهذا ليس بجائز، **نعم يقول أهل العلم**: إن المرء يجوز له أن يجعل له وِرْدًا خاصًا به، يقرأه في يومه وليلته، وهي التي سمَّاها علماء السلف أو العلماء المتقدمون بـ (آيات الحرْس)، جمعها بعضهم، وقد طُبِعَ بعض كتب المتقدمين الذين أشاروا إليها، لك ليس لك أن تقول: إن هذا سُنَّة، أو تقول للناس: إن هذا افعلوه، وهذا الذي جعل بعض الناس يتعلَّق بآيٍ معيَّنة دون ما عداها في القراءة، وهذا منهي عنه، فكأنك جعلت لهذا القرآن من الخصيصة والنفع ما ليس لغيره.

العلماء يقولون: إن القرآن وسائر الدعاء إذا خُصَّ بزمان أو بمكان أو بعدَد أو بفضْل فلا بد فيه من التَّوقيف، فإن لم يكُ توقيفًا فإنه يكون حينئذٍ بدعة غير مشروع، وهؤلاء الرُّقاة كثير منهم يجعل له وِرْدًا لغيره، ويأمرهم بفعْله، وهذا خطير جدًا، حتى إني سمعتُ من أحدهم - وهو يُشار إليه بالبَنان في ذلك - يقول: إن لكل سورة في القرآن حارسًا من الجن يكون معها، وهذا خطير وسأُنبِّهُ عليه بعد قليل -إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ-.

إذن: هذا الأمر المهم، وهو أن الإنسان يبتعد عن التشْخيص، سواء في نوع ما ظنَّه أو توهَّمه، والأمر الثاني في نوع العلاج، وهو التلاوة أو الذكْر.

الأمر الثالث: أن يبتعد عنه في منع ما يصاحبه، وكثير من الرقاة يقول: إذا قرأت لا تتعامل بالدواء، اترُك الأدوية الفلانية، أنا الذي أرْقي وحدي؛ لأنها تتعارض، أين هذا في كتاب الله، ما يجوز، أنت تُضر ذلك الرجل، بلْ إنَّ كلامك هذا يعارض نصوص الشرع، **فالشرع يقول**: إن العلاج دائر بين الإباحة وما قاربها، فكيف تمنع، وتقول: إن هذا المباح

أو المندوب ممنوع، ويتعارض مع القرآن!، **معنى كلامك**: أن هناك تناقض، وتعارض بين القرآن وبين هذا الأمر، وهذا خطير جدًا.

قبل أن أنتقل إلى المسألة الثالثة التي أخْتمُ بها الحديث، وهي مسألة: أن هذا التشْخيص كثير من الناس يزْعم أنه إنَّما شخَّص به باعْتبار ما وقع في نفسه، أو باعْتبار ما حدَّثَه به قرينه، وهذا يكون المرء قد جمع مُصيبة عظيمة إضافة لمُصيبته التي هو فيها من الإحْداث، ومَن فعل ذلك فإنه يَحرم الإتْيان إليه، ويَحرم سؤاله، ويكون ذلك كاهِنًا وإن لم يكُ ساحرًا.

والإتْيان للكاهن قال عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن أَتَى كاهِنًا فسَأَلَهُ لُم تُقبل لهُ صلاةٌ أربعينَ يومًا**»، فالكاهن الذي يقع في رَوعِه وفي نفسه أن فلانًا فيه من الأدواء كذا، أو يأتيه كما يزْعم قَرينه، ويقول: إن فيك كذا، هذا لا يجوز الإتْيان إليه، أقول هذا لِمَ؟ لأنه انتشر الآن وخاصة في مواقع اليوتيوب، بعضًا من الرُّقاة يأتي بعجائِب الأمور، والمشاهدات له لا أقول بالأُلُوف بلْ تجاوزَت مئات الأُلوف، ممَّا يدل على أن الناس ما أسْرع أن يتَساقطوا في البدع، وما أسرع أن يتَساقطوا في الضلال، وقد جاء أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكَر الدَّجَّال، وكذبه، ودَجَلَه، ثمَّ دخل بيته، وكان أمير الكُوفة، فسمع بعض الحاضرين الذين سمعوا حديثه يذكرون الدجال، **ويقولون**: لو خرج لضربْناه بالنِّعال، فخرج إليهم ابن مسعود وقال: «والله لو خرج الدجال في بابِل لاشْتَكيتُم الحَفَاءَ إليهِ».

إذن: ما أسرع وقوع الناس في حبائل الدَّجاجِلة، وما أسرع ما يصدِّقُونهم، ولذلك جاء الشرع بإغْلاق باب الوسائل خشْية الوقوع في المقاصد، وكم من امرئ ضلَّ في دِينه، وقدَح

في توحيده، مدخل يظنُّه من باب العلاج فكان سـببًا في ضـدِّه، ولذلك فإنَّ أمر الرقية ثابت، ولكنه ليس بهذا الأمر.

الأمر الأخير أَختمُ به حديثي تمامًا، وهو: الخطأ العظيم الثاني وهو قضـية -: أَخْذ الأُجرة!!

وصـدِّقني لو أن كل رَاقٍ لا يأخذ أُجْرَةً لَذهب ثلاثة بلْ تسعة بل ربما تسْعة وتسْعون بالمائة من هؤلاء الرُّقاة، **وقد ذكر جمْعٌ من أهل العلم الإجماع على أن أعمال القُرَب لا يجوز أخْذ الأُجرة عليها.**

ومن أعمال القُرب – كما قرَّرَه جماعة، ومنهم الشيخ تقي الدين -: الرُّقية، وكيف أنه لا يجوز أَخْذ الأُجرة عليها؟ لأنَّ مَن أَخَذ أُجرة على عمل قُرْبَة فإن حظَّه منها الأُجرة، وليس له أجر، وحيث لم يكن له أجرٌ فلا ينتفع هو بها، ولا ينتفع غيره كذلك بها، ولذلك حُكِيَ الإجماع على أن الراقي لا يجوز له أن يأخذ الأُجرة.

وقد وقفْتُ على مَحْضَـرٍ هنا في أحد الجهات الرســمية في الرياض لأحد الرُّقاة وهو يقول: عاقدتُ فلانًا أنَّه آخُذ على الرقية خمسة عشر مليونًا، هنا في الرياض، وهذه قبل سَنة أو سَنتين، قريب جدًا، خمسة عشر مليونًا على قراءة شخص واحد، هذا الرجل كيف يكون أجره، **وقد قلْتُ لك:** أنه انعقدَ الإجماع على أنه لا يجوز.

فإن قُلْت: إن حديث أبي سعيد فيه أنَّ أبا سَعيد وأصحابه قالوا للَّدِيغ وقومه: اجعلوا لنا جُعْلًا، فجعلُوا لهم جُعْلًا، وأكل منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

نقول: نعم يجوز؛ لأنه متقرِّر أن أَعمال القُرب يجوز أَخْذ الجُعْل عليها ولا يجوز أَخْذ الأُجرة.

والفَرْق بين الجُعْل والأُجْرة: **أن الأُجرة**: على العمل، **وأمَّا الجُعْل**: فيكون على النتيجة.

فأبو سعيد قال: «إن شفا الله مريضَك»، فجعلَ معلَّقًا على الشفاء، وأمَّا هؤلاء فيقول: أقرأ عليك قراءة بخمسمائة.

بلْ إن أحدهم في هذه السَّنة يقول: القراءة بعد الساعة الثانية عشر بأَلْف، آتيك البيت في الثانية عشر، وقبل الساعة الثانية عشر بخمسمائة، هذه الأشهر القريبة، أقلّ من سَنة.

ولذلك فإن جَعْلَها وسيلة للكَسْب يدل على عدم انتفاع صاحبها بها، ومَن انتفع بها فربما بسبب الاضْطرار الذي يقع في قلب ذلك المضْطر الذي دعا الله عَزَّوَجَلَّ عندها، وأن النفع إنما هو يكون كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**»؛ فلْينفعْه، ما قال: لِيُعاوضْه، يجعلها تجارة، ولذلك إذا كانت تجارة فإنه يريد أن يجعل من الطُّقُوس، ويجعل من الهَالَة على هذا الفعْل ما يسْتصْعِبُه كثير من الناس، فيقول: أنا لي طريقة معيَّنة من الطُّقُوس، لكي لا يقول أيّ واحد أسْتطيع أن أفعل مثلما فعلْت، فيُحدِثُ في دِين الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا عظيمًا.

وقد جاء عند الدَّارمي: «أن الرجل في آخر الزمان يقرأ القرآن، فيقول: لم أُتَّبَعْ»، قرأْتُ القرآن، ما أحد اتَّبَعَنِي، قال: «فيُحدِث للناس حَدثًا ليُتَّبع»، وما أكثر ما يُحدَث في هذا الباب!

وَثِقْ أنَّ من أخطر مـا يقع فيـه الرُّقـاة القـدح في التوحيـد، إذْ يعلِّق النـاس بغير الله، إذْ يعلِّقهم بأَوهَام، بشياطين وغيرها، إذْ قد يوقعهم في بعض البدع والمُحدَثات.

هذا ما أردتُ الحديث عنه، وهو بعضٌ ممَّا في خاطري في هذا الموضوع المُهمّ.

أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يرْزُقَنَا جميعًا العلم النافع، والعمل الصالح.

مُحاضرةٌ أُلقِيَت

يوم الإثنين الثامن والعشرون من شهر ربيع الأول

سَنَةَ واحدٍ وأربعين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ

بمجمع الأمل الطبي





فوائد